[434] فلما ملك بقي في ملكه ثمانيا وثلاثين (1) سنة، فتحزب الناس في ملكه أحزابا: منهم من يؤمن باﷲ ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب بها، وكبر ذلك على الملك وبكى إلى اﷲ عزوجل وتضرع إليه وحزن حزنا شديدا، فلما فشا ذلك في ملكه دخل بيته و أغلقه عليه، ولبس مسحا، (2) وجعل تحته رمادا، وجعل يتضرع إلى اﷲ ليله ونهاره، ويبكي مما يرى فيه الناس فأحيا اﷲ الفتية فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم، طيبة أنفسهم، فسلم بعضهم على بعض، كأنما استقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها (3) إذا أصبحوا من ليلتهم، ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا، فلما قضوا صلاتهم قال بعضهم لبعض: " كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم " وكل ذلك في أنفسهم يسير، فقال لهم يمليخا: افتقدتم والتمستم بالمدينة، وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحون للطواغيت أو يقتلكم، فما شاء اﷲ بعد ذلك فعل، فقال لهم مكسمليناً: (4) يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقو اﷲ، ولا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم غدا، ثم قالوا ليمليخا: انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها اليوم، وما الذي نذكر به عند دقيانوس وتلطف ولا يشعرن بنا أحد، وابتع لنا طعاما فأتنا به، وزدنا على الطعام الذي جئتنا به أمس فإنه كان قليلا فقد أصبحنا جياعا. فانطلق يمليخا في الثياب التي كان يتنكر فيها، (5) فلما أتى باب المدينة رأى فوق ظهر الباب علامة تكون لاهل الايمان، فعجب من ذلك فتحول إلى باب آخر فرأى مثل ذلك، ورأى ناسا كثيرا محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك، فجعل يمشي ويعجب، ثم دخل المدينة فسمع الناس يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا، فقال في نفسه: لعل هذه المدينة ليست بالمدينة التي أعرف، ثم لقي فتى من أهلها فقال له: ما اسم هذه المدينة يافتى ؟ فقال: أفسوس، فقال في نفسه: لعل بي مسا أو أمرا أذهب عقلي، واﷲ يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى أو يصيبني شر، فدنا من الذين يبيعون الطعام

---

(1) في نسخة: ثمانين. (2) المسح بالكسر ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفا وقهرا للجسد. (3) في نسخة: يستيقظون فيها. (4) في المطبوع " مكسلمينا " في جميع الموارد. (5) في المطبوع: كان يتكدى فيها.